علاقة الأنا بالآخر في الشعر الوجداني
للدكتور أحمد الوائلي

الأستاذ المساعد الدكتور
شيماء هاتو فعل البهادلي
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

علاقة الأنا بالآخر في الشعر الوجداني للدكتور أحمد الوائلي

الأستاذ المساعد الدكتور
شيماء هاتو فعل البهادلي
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:ـ

للشيخ الدكتور أحمد الوائلي روائع الكلم وفصيح النظم وجميل العبارات وأسلس الألفاظ وأدق المعاني معبراً بها عن مشاعر وأحاسيس تجاه أهله ومبادئ سامية وداعياً إلى أخلاق وفضائل إنسانية كريمة " وإذ لا يمكن النظر إلى الأنا متجردة من الآخر، في الأغلب، فإن من المستحيل أن نجد الأنا بارزاً في النص الشعري دون الآخر، لأن الأنا تشكل المحور الرئيس في العلاقة الثنائية بينها وبين الآخر..."[1].

الشاعر هو العلامة أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي، وُلِدَ في مدينة النجف الأشرف في يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول يوم ميلاد الرسول الأعظم عام ١٣٤٧هـ، في الثاني من أيلول ١٩٢٨م، نشأ في النجف وحفظ القران الكريم وتعلم القراءة والكتابة وهو في السابعة من عمره، وكان أول شيخ له في التعليم عبد الكريم قفطان في مسجد الشيخ علي نوايه والشيخ قفطان أشرف على تربيته وتعليمه ثم دخل مدرسة الملك غازي، التحق بكلية الفقه عند انتهائه من الثانوية، ثم حصل على شهادة البكالوريوس باللغة العربية والعلوم الإسلامية، وبعدها نال شهادة الماجستير من معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد الموسومة (أحكام السجون في الإسلام) وقد حصل على شهادة الدكتوراه من كلية دار العلوم بالقاهرة في أطروحته الموسومة (استغلال الأجير في الشريعة الإسلامية) ونال شهادة

الدبلوم في الاقتصاد الإسلامي من معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية خلال مدة وجوده في القاهرة ومن أساتذته في الاقتصاد علي لطفي رئيس الوزراء المصري السابق، والشيخ علي ثامر والشيخ علي سماكة والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ علي كاشف الغطاء والشيخ هادي شريف القرشي.... وغيرهم، عُرِفَ خطيباً وشاعراً، ومن مؤلفاته هوية التشيع، ونحو تفسير علمي للقرآن، وتجاربي مع المنبر، ودفاع عن الحقيقة.... وغيرها، والده كان يشتغل بتجارة الحبوب والتمور ويخرج إلى الحيرة لشراء كميات منها ووضعها في خان معد لذلك وكانت حالته المالية لا بأس بها، ترك تجارة الحبوب وبدأ بدراسة المقدمات ومبادئ النحو والصرف والفقه الإسلامي وكان كثير الحفظ ولوعاً بالتاريخ وواقعة الطف ومنكباً على استظهار خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والشيخ حسون خطيب مقل وشاعر له بعض النتاجات الشعرية، والدته الحاجة بيبي بنت الشيخ عواد بن محمد بن حسين ابن الشيخ علي زين العاملي وآل زيني أصلهم من جبل عامل وقد كان الوائلي يفتخر دائماً بهم، وكانت والدته من الشاعرات تنظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام وكان زوج عمته الخطيب الجليل الشيخ محمد علي قسام، ولقد توفي الوائلي في ليلة شهادة الزهراء اغتسل وصلى ركعتين ونادى أبناءه وبناته وأحفاده وأسباطه قائلاً: فليأت كل واحد منكم أقبله ويقبلني وبعد ذلك سكت صوت الوائلي وفارقت روحه الدنيا في يوم ٢٠٠٣/٧/١٤[٢].

علاقة الأنا بالآخر (الأهل)

أكثر ما تبدو علاقة الأنا بالآخر (الأهل) الزوجة والأولاد واضحة في الشعر الوجداني الذي احتل حيزاً واسعاً من ديوانه "إذ تتميز الأنا أو الذاتية الفردية: بأنها مؤثرة ومتأثرة، وهي تبدأ بأن تكون متأثرة قبل أن تكون مؤثرة في المحيط الخارجي، وهي تتأثر بعوامل كثيرة تبدأ من الطفولة كتلقي ثقافة

المجتمع بالتعلم، واكتساب اللغة والعادات الاجتماعية والمفاهيم السائدة وهي مرحلة تلقي الشخصية واكتسابها مثلها"[٣].

يظهر فيها تلك الأحاسيس الصادقة والمشاعر الجياشة التي تفيض من قلبه إلى أهله، فهم يعنون له الحب والاستقرار، والعطف والمودة الذي راح يبحث عنهم، لأنه افتقدهم نتيجة الغربة والبعد الذي عاشه وظل يعاني منه حتى أواخر أيام عمره، ففي أثناء عودته إلى أحضان عائلته لم يلبث معهم إلا وقتاً قليلاً ووافاه الأجل. فالآخر هو "الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك؛ ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة"[٤].

وفي قصيدة له بعنوان (إلى ولدي علي) التي نظمها في القاهرة عام ١٩٦٩، تظهر الرؤية المحببة لأنا الشاعر تجاه الآخر (ابنه) الذي يحمل له عواطف أبوية صادقة وفيها تبدو " العاطفة الإنسانية العميقة التي ينطوي عليها قلب الشاعر بإزاء القضية التي يعيشها بين جوانحه، هذه العاطفة التي توجه تعبيراته الفنية إلى أدوات التعبير الناجحة في امتصاص خلجات نفسه وأهازيج روحه، بحيث إننا - نحن المتلقين - نحصل في النهاية على عمل فني صادق، معيار صدقه ما نستشعره فيه من نبض، وبمعنى آخر نقول إن هذا المعيار هو مدى التكافؤ بين ما يحسه الفنان من عواطف وما يعبر بوساطته عن هذه العواطف"[٥] ترسمها الكلمات العذبة، والموسيقى وأنغام جميلة لبحر (البسيط) بقافية اللام المكسورة قائلاً فيها[٦]:

طيوفك الحلوة الوسنى بني علي ... في كل درب أراها وهي تضحك لي

ملأت كل جهاتي والزمان فلا ... وجه ولا زمن إلا وفيه علي

أراك في كل طفل في الطريق مشى ... يدحو برجليه ما يلقاه من زبل

يظل حين يرى في دربه جملاً ... لم يشتروه له يبكي على الجمل

فاغتدي خفقة في قلب كل أب ... يرعى على البعد فرخاً غير مكتمل

كل ما يستذكره الشاعر من ابنه (علي) يتجلى في مرحلة الطفولة، بكل ما تحمله من براءة ومشاهد طفولية عالقة في ذاكرته، لذلك راح يستذكرها لعلها تطمئن قلبه الذي يلهج باسم ابنه فيكون له الداء والدواء فتسكن له لواعج قلبه الملتهبة، ويثير في دواخله ذلك الإحساس العميق بابنه الغائب، لذا فإن كل ما يلحظه وصرح به هي طيوف تراوده في منامه ويقظته، إذ إن الشعر الوجداني الذاتي يأتي "... وصفاً فنياً للعلاقات الإنسانية لمختلف أنماطها، وتعبيراً كاشفاً عن الذات التي تعيش مع الذوات الأخرى في واقعها الحقيقي والمتخيل معاً، فهو عبر هذا الوصف إنما يصف تجاربه القريبة والبعيدة، ولاسيما تفاؤله وأمله، فكان إن لجأ إلى تلمس التعابير التي تعينه على تصوير أمله في ذاته تجربة ومواقف"(٧):

وتنهض أبياته الأخرى التي يقول فيها:

بني يا خفقة النعمى على كبدٍ ... يدب فيها دبيب البرء في العلل

إذا دجا الليل شدتني إليك رؤى ... غراء إن حال بعد الدار لم تحل

تجلوك في حضن ماما والكرى سنة ... تدب منه إلى عينيك في مهل

تطويك للصدر في زند وأنملها ... تشد من شعرك المجدول في خصل

تكاد تشرب من خديك قبلتها ... كضامىء عبَّ في عل وفي نهل

تسقيك أحلى حكاياها مهدهدة ... حتى تنام على مهدٍ من العسل

على النأي والبعد عن ابنه مستذكراً إياه في ظلمة الليل، ومعرجاً بحديثه

على حنو والدته عليه وكيفية رعايتها له، ومدى حبه وتعلقه بها. ومن خلال العنوان والمشاعر والكلمات التي تضمنتها القصيدة تزدحم بـ (أنا) الشاعر المتحدثة بكل المعاني والذكريات، في الوقت الذي يتوارى الآخر (الابن مع الأم) في النص من خلال الأفعال المضارعة (تجلوك، تطويك، تسقيك، تشرب، تشد).

ثم تقوم بنية الأبيات على الذكريات التي تعايش معها الشاعر، تلك التي أدت دوراً كبيراً ومهماً يستعيد فيها أناه وكل ما مر به وقضاه مع ابنه في مرحلة الطفولة، وهنا يظهر ذلك الصراع وتلك المعاناة التي عاشها الشاعر وهو بعيد عن أبنائه لسنوات طوال في قوله:

بني هل جار ورد في حديقتنا ... فناء عن كفك الصغرى فلم تصل

قد كنت أنهاك عنه ثم تقطفه ... كأنما النهي إغراء على العمل

وحينما أسلات الورد تجرح من ... كفيك تشتم جد الورد والأسل

والكرم هل تتنزى في عرائشه ... كما عهدتك في تهويمة الطفل

تنط أنت وعصفور الغروب على ... نقر العناقيد نقر الخائف العجل

إذ يشيد بتصرفات طفولية بريئة تهيج ذكريات كامنة عن ذلك الابن وذلك البيت وما فيه من طبيعة تشاركه هو وابنه الفرح والمرح، وتحتضن تلك العائلة التي كانت تعيش فيه. ونحس من هذه العبارات شعورين متناقضين، ألا وهما الشعور بالفرح والبهجة، وشعور البعد والغربة والشوق الذي يعتصر قلبه فيجعله يتحدث عمّا يمتلكه من ذكريات تعزيه وتصبره على فراقهم. فـ" الغربة ألم وحرقة ومعاناة، يكون من نتائجها الحنين فهي سابقة عليه، إذ إن من يغترب ينتابه الهم والغم، ويتحسس الذلة بعدما كان عزيزا في مهاده،

ومرابعه، وديارِه مع الأهل والأحباب، والخلان، ففي قومه يمتاز بالقوة والمنعة، يتلذذ بالأنس والسمر وهناك من يعينه على نائبات الدهر، ومدلهمات الأمور، أما حينما اغترب، فقد أمسى في ذلة ضربت عليه أستارها..."[٨]:

ثم ما يلبث أن يختتم أبياته بقوله عن ابنه وطفولته:

سل الطفولة هل مر الزمان على ... ألذ منها ومن أيامها الأول

أيام نشتار من صبح يطل على ... ورد وليل على الألحان منسدل

....

عواطف في نقاء الشمس ناصعة ... ما إن تعاملن في يوم على دغل

يا للطفولة نوار وأخيلة ... مزوقات وطهر غير مفتعل

بني شوقاً إلى وجه أحن له ... بالخمر مغتسل بالليل مكتحل

أراه كالبدر في أحلى مواسمه ... ولو رأى فيه غيري صورة الجعل

راسماً لوحة فنية جميلة تتضح فيها ملامح الطفولة والعواطف النقية الصادقة والأحلام والألحان الشادية،خاتماً أبياته بأشواقه لذلك الابن الذي يراه كالبدر في أحلى وأنقى موسم يظهر فيه.

❁ ❁ ❁

أما قصيدته التي ألقيت في جمعية الرابطة الأدبية في النجف في أحد مواسمها عام ١٩٧٠ بعنوان (إلى ولدي حسن) فقد وظف فيها بحر السريع لتوضيح شوقه وحنينه لولده قائلاً فيها [٩]:

حسون يا أجمل ما يكتب ... ويا رؤى الجنة بل أعذبُ

يا قسمات من رفيف السنا ... أحلى ومن عرف الشذى أطيبُ

يـــا تمتمـــات كـــم علـــى حلـــها دأبـــــت استظـــــهر أو أعـــــربُ

لـــــيس لـــــها معـــــنىً ولكنـــــها أحلـــى مـــن النغمـــة بـــل أخصـــبُ

للقصيدة مقاطع يبدأ الشاعر فيها بذكر كلمة تصغير ابنه - حسن - يأتي به منادى حذفت منه الأداة (يا) وثم أفعل التفضيل (أجمل، أعذب، أحلى، أطيب، أعرب، أخصب) مكرراً كلمة (أحلى) لتأكيده على جمال ابنه، فاستعمال التصغير مع أفعل التفضيل يختزل أنا الشاعر وما يحتويه تجاه الآخر من أشواق وحنان " وهذه الذات لا تتحقق إلا من خلال وعيها لنفسها أولاً، ومن خلال تواصلنا وتعاملنا وتفاعلنا المشترك مع الآخرين على اختلاف مشاربهم بعد ذلك، فالشعور بالأنا لا يبرز إلا من خلال تلازم الذات مع الآخر حيث يبرز هذا التلازم حدوث الذات الفردية ويوصفها، وكذلك الحال بالنسبة للذات الجماعية " نحن" فهي تتحقق وتتضح عن طريق القبيلة أو المجتمع أو الأمة وبذلك تتحول الذات من إطارها الفردي إلى إطار الجماعة " [١٠] وفي مقطع آخر يقول عنه:

حســـون مـــا أحـــلاك والصـــبح في عينيـــك يرخـــي النـــوم أو يجـــذبُ

وأنـــت مســـــترخٍ علـــى أضـــلعي تطفـــو علـــى الحنـــان أو ترســـبُ

ورأســـــك الصـــــغير أحـــــلامه ورديـــــة اللـــــون كـــــما أحســـــبُ

ثم يرسم صورة جميلة يبدعها الشاعر لابنه حدّد فيها ملامح الطفولة الشجية، ففي قوله (البرد في ثغرك، والجمر في خدك) دلالات تداولية متمثلة بالوصف اللوني، فبياض البرد معادلاً موضوعياً لبياض الأسنان، واحمرار الجمر معادلاً موضوعياً لحمرة الخد، وفي الجملة الندائية (يا صورة) جاء توظيف الشاعر للصورة الاستعارية بقصد استبدال الصفات الجسدية (الوجه، الخد، الأسنان، المقلة، الشعر) بصور استعارية (يا صورة لونها مبدع، البرد في

ثغرك، والجمر في خدك، البحر يشف من مقلة، والشعر من ذهب) لينتقل بالمتلقي إلى مشهد له أثره بالانفعال [١١]:

يـــا صـــورةً لـــونها مـــبتدع فمـــا بهـــا إلا الـــذي يطـــرب

الـــبرد في ثغـــرك إذ يزدهـــي والجمـــر فـــي خـــدك إذ يلـــهب

والبحـــر إذ يشـــف فـــي مـــقلة والشـــعر إذ مـــن ذهـــب يخضـــب

وبســـمة كالشـــمس في حســـنها تـطلـــع بالثـــغر ولا تـغـــرب

ثم يستكمل حديثه عن حنو الأم على ولدها، مظهراً عادات شعبية عامية يمارسها الناس من أجل طرد العيون والخوف من الحسد على ابنه وهي الرقية وطقطقة الحرمل، مازجاً أناه بالآخر الابن ومشاعر أمه وأحاسيسه، فالشاعر يدخل الآخر الذي يوجه إليه كلماته ومعانيه في حالة التوافق والترابط العائلي الذي يبوح به من خلال قصائده " والآخر ليس مفهوماً فردياً فقط، إنه مفهوم جمعي أيضاً؛ فكما أن الفرد يشكل تصوراته عن الآخر بناءً على تصوره لذاته، فإن المجتمع كذلك يكون له تصورٌ عن الآخر بناءً على تصوره لذاته، أي أن هناك تلازم أيضاً بين صورة الذات وصورة الآخر على المستوى الجمعي كما هو على المستوى الفردي " [١٢] قائلاً:

حســـون كـــم عنـــدك مـــن جنـــة عـــيني مـــن خيراتهـــا تنـــهب

حـــتى مضـــت أمـــك ترقيـــك مـــن عـــيني يـــا لـــلأم إذ تـــحدب

تطقطـــق الحرمـــل في مجمـــر وتـــأمر الجـــن بـــأن يهربـــوا

وأنـــت مـــن حجـــري إلى حجرهـــا نـــط كـــما ينطـــنط الأرنـــب

وتفيض أحاسيس الشاعر ومشاعره تجاه أبنائه جميعاً، فهو يحدد ملامح حبه وتعلقه بأبنائه، ويرى أن الحياة أجمل وأحلى مع وجودهم، قائلاً فيها:

حســـون لـــولا أنـــت في عـــالمي ... وإخـــوة أهفـــو لـــهم زغـــبُ

يؤنقـــون العـــيش في وحـــدتي ... ويســـهلون الـــوعر إذ يصـــعبُ

في كـــل نـــبض بي مـــن حبـــهم ... قلـــب مـــن الـــدنيا لـــهم أرحـــبُ

والعـيش لـولا الحـب مهمـا ازدهـى ... فلـــيس إلا يـــبس مـــجدبُ

....

وأنـــتم حبـــي فـــدنياي لـــم ... تمـــر فيهـــا الكاعـــب الربـــربُ

بُـــني إن ألححـــت فـــي حـــبكم ... فإنـــــما ذاك لأنـــــي أبُ

ومن الجدير بالذكر: أنَّ الشاعر في حديثه عن أناه والآخر(ابنه) يشرك معه أسرته فيروح مستذكراً العائلة أجمع، ويتمحور الحديث عن نحن الجماعة وتعني له العائلة التي فقدها ويتمنى العودة واللجوء إليها.

وبذلك " تعد الذات كينونة إنسانية صغرى، تتماهى مع ذات جمعية أكبر منها، تتمثل بالهوية، فلإنسان ـ أي إنسان ـ إنما يبدأ بإدراك ذاته ضمن مكون مجتمعي ذي ملامح ثقافية خاصة ومميزة، ومنه يتزود بالنظام القيمي والثقافي العام، بهذا المعنى يصبح مفهوم الأنا نسبياً، كما سائر صور الآخرية "[١٣].

وإذ نلحظ في كل قصيدة من القصائد التي ينظمها بحق أبنائه يركز على جانب معين، أو لحظة، أو موقف ما يكشف عن المعاني التي ينظم فيها شعره فـ" كل أديب هو في الواقع إنسان يحاول أن يتوافق مع الواقع بشكل من الأشكال، ولو إلى الحد الأدنى الذي من دونه لا يمكنه البقاء في الحياة "[١٤] ففي قصيدة نظمها بالشام وأرسلها لولده محمد حسين ١٩٨٠ تسمى (الطيف العاتب) قائلاً [١٥]:

تـوطن عـيني والنجـوم غـوارب لعينيك طيف مر بي وهو عاتبُ

يعـــاتبني أنـــي نســـيتك مـــدة وقصـرت عمـا يقتضـيه التحابـبُ

فقلـت تناســاني فقابلــت فعلــه على الرغم مني والفعال تجاوبُ

الفراق والنأي لم يكونا يعنيان للشاعر النسيان ولكنها الأشواق والحنين والتذكر الدائم جاعلاً منهم الهدف والوسيلة، ولعل عنوان القصيدة ينطبق محتواها مع ذلك التحسر والألم والزفرات التي يطلقها على ذلك الطيف والحلم الذي يذكره به متكئاً على بحر الطويل بتفعيلاته الطويلة الذي استوعب مشاعره المكبوتة ونبرته الخطابية وفيها يقول:

بني حسين استأسد الشوق والهوى على البعد فرض في المضاجع لازبُ

فعـاودني مـن لاعـج الشـوق عائـد وعـذراً لتـعبيري فـما هـو غائـبُ

ولكـــنه يـــنزو ويهـــدأ تـــارة وبالقلب مـن شـوقي لرؤيـاك دائـبُ

ومما يؤكد فراقه الطويل لولده تحسره لعدم رؤيته له، وهو يكبر ويشتد عوده قوله:

بـــني وإن طالـــت بجســـمك قامـــة أعوذهـــا بـــالله واخضـــر شـــاربُ

وبانـت علـى الأفعـال منـك رجولـة وعـزم إذا مـا اسـتبهم الأمـر ثاقـبُ

فمـا زلـت في عـيني طفـلاً بمـهده يـنط كمـا نـط الصـغار الأرانـبُ

وفرخـاً أغذيـه فـإن فتـرت يـدي عـن الأكـل يلـوي وجهـه ويشـاغبُ

....

سـتبقى الخميـل الخصـب في متخيَّـل وتبقى الحـديث الحلـو حـين يجـاذبُ

❁ ❁ ❁

وتشكل القصيدة التي نظمها إلى زوجته (أم محمد) ـ بين الأنا والآخر ـ ذلك الترابط والحب الذي حُمل في طيات القصيدة، فراح ينثال من هنا وهناك مفصحاً عن مشاعر حزينة وأحاسيس صادقة لكلا الطرفين، تعكس مدى التواشج والتشابك بين الشعور الروحي والمعنوي لأن " صدق التجربة وراء نجاح التعبير عنها، وان جودة هذا التعبير قرينة إخلاص المبدع في التعبير عن ذاته "[١٦] يقول فيها [١٧]:

ذريني فما يجدي الملام ذريني ... وخلي سهادي في الوساد قريني

تريني سلواً كاذباً وتجلداً ... وعندك ما عندي فكيف تريني

كلانا مقيم القلب عند محمد ... وإن دونك السجان حال ودوني

وما انتقلت أبصارنا عن مقبلٍ ... رشفنا معاً من عذبه وجبين

وعند جدار السجن من خلجاتنا ... ضراعة مضطر ورجع حنين

حملنا المنى من كل أم ووالدٍ ... لتتكل مقيم بالسجون قطين

وحين طغى الإيثار ما عرف الفدا ... أروحك أم روحي فداء سجين

فالشاعر يدعو زوجته إلى الصبر والتجلد لأن ابنيهما محمد، كما يبدو من القصيدة قد تعرض للسجن ـ الذي أُعْدِمَ عند خروج والده إلى الكويت ـ لذلك راح الشاعر يواسيها ويأملها خيراً، عسى أنْ تكون رؤيته دافعاً للشعور بالأمان والاطمئنان، ويكون بحر الطويل منسجماً ومتناغماً مع شكواه وحنينه إلى زوجته ومستوعباً كل تفصيلاته المتشعبة.

ويقول مستكملاً حزنه وألمه على ابنه المسجون، مبدياً تمسكه بالدعاء والتضرع إلى الله، وطلب الرحمة منه وعدم الالتجاء لغيره، ويتجلى في هذا الحديث موقف الآخر (السلطة) السيئ والضدي من الشاعر وعائلته التي لم

يرضَ بتصرفاتها ومواقفها تجاههم، لذلك راح يعلن رفضه واستنكاره لهم، فهو لم يرضخ ولم يذل نفسه لهم، على الرغم من العلاقة الودية التي تربطه بابنه قائلاً:

رحلت بحزني للسماء ميماً ... رحاب كريمٍ وانتجاع معين

ولم انتجع باباً لطاغٍ ... محكم يبيع قليلاً من جداه بهون

ومن طلب الطيب الشذى بدمنةٍ ... كمن نشد الأحساب عند هجين

وتأبى جراحي أن أذل شموخها ... فأسأل رفع الظلم من ظلموني

وبالحزن أحرار وبالحزن أعبد ... توزع في هذين كل حزين

ويبدو دقة وصف الشاعر لموقف زوجته ومشاركتها لآلامه وأحزانه وهو بعيدٌ عنهم "فهذا الآخر باعتباره سحنة تعبير ومحيا يختزل وجهه حقائق الوجود هو ذكر لا يمكن للأنا أن تواصل دونه مسيرتها صوب آفاق رحبة تتجاوز وسطها المعاش ولتلقي بها أخيراً في خضم تاريخ العالم والكون وإلى ما وراء هذا التاريخ أيضاً "[١٨] موقفاً يجله ويحترمه منها على الرغم من البعد والغربة الذي عاشه، مؤكداً ايجابية العلاقة التي توضح أناه والآخر (زوجته) فهي المعين والمسعف له حتى وهو في ديار الغربة والبعد قائلاً فيها:

سلاف الخزانى الحزن أم محمد ... أجل فدعيني للشجون دعيني

وحمداً لآلام على البعد أوجبت ... بأنك من بعد النوى تصليني

فتمسح روح منك آلام غربتي ... وتسقي يبيساً ذابلاً بغصوني

وقد كنت أولى أن أواسيك فاعذري ... إذا خانني صبري كما تصفيني

ولعل في كلامه هذا تهويناً لمصاب زوجته، بأن عليها التحلي بذكر الله كي

يطمئن قلبها، مبشراً إياها بالفرج الذي سيأتي لا محالة مبيناً ذلك بقوله:

ضعي فوق قلبي العبء واستشعري الرضا ... لاعـــتجر البـــلوى وتعتجـــريني

وعـــودي لبـــاب الله أم محـــمد ... فمـا مثـل بـاب الله بـاب ضمـين

سيأتي الصباح الحلو إذ يطرد الدجى ... وعـــدتك هـذا الوعـد فـانتظريني

❁ ❁ ❁

العيد تلك المناسبة السعيدة التي يجتمع فيها الإنسان مع أهله وأحبائه يأتيه ولكن مخلفاً وراءه حسرة ودمعة تذكره بتلك الأيام الجميلة التي قضاها مع أهله في قصيدة له بعنوان (تحية عيد إلى أولادي) التي جاءت " تعبيراً عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة "[١٩].

يقول فيها [٢٠]:

أتـى العيـدُ فاحتفـلَ النـاسُ فيـه ... مـــن الطـــامحين إلى القنـــع

تـــبرج في شـــكله للبـــسيط ... وجـــلّا بمعنـــاه للألمعـــي

وأعطـى العيـون وأعطـى القلـوب ... وقـــتال لأنغامـــه لعلعـــي

وكنـت عـن العيـد فـي معـزلٍ ... فمـا طعـم عيـدٍ ولسـتم معـي

ولا تتـــملاكمُ مقلـــتي ... ولا يتـــنغمكم مســـمعي

ويغفـو الخميـل إذا مـا الهـزار ... تغيـــب عنـــه ولم يرجـــع

العيد وما يثيره من أشجان وذكريات، يغرق فيه ويحن به إلى أولاده، ويتمنى تقبيلهم، فتؤدي به تلك الأحزان والأشجان إلى الأرق، والامتناع عن النوم. ومن ذلك قوله:

فـــــمي لعيـــــونكم النائيـــــات بـــــه قـــــبلاتٌ ولـــــم تطبـــــع

ومـــــا العيـــــد في كـــــل إشـــــراقه بـــــدون وجـــــوهكم مقنـــــعي

بنـــــــي يلـــــــذعني بُعـــــــدكم كمـــــا يلـــــذع الجـــــرح بالمبضـــــع

ولعل طيف خيالهم يرجعه إلى الوراء، وما يثيره في نفسه وجوده معهم، ولكن سرعان ما تنقضي هذه اللحظات ويجد نفسه غريباً بعيداً عنهم، ويكون بين الحزن وعدمه، ويعزي نفسه ويصبرها ببعض الجوى عسى أن ينفعه قائلاً فيها:

بـــــني وإمـــــا أطـــــل الخـــــيال يقـــــض بقلـــــب الـــــدجى مضـــــجعي

ويســـــري بروحـــــي عـــــبر المـــــدى لـــــوادي الغريبيـــــن لا الأجـــــرع

فأحســـــــب أني مـــــــا بيـــــــنكم وأنـــــــي أوســـــــدكم أذرعـــــــي

....

تعـــــزي فـــــإن كبـــــتار النفـــــوس تـــــوائم لـــــلألم الموجـــــع

وإن النفـــــوس بغـــــير الهمـــــوم ســـــوائم بلـــــهاء فـــــي مرتـــــع

ويرى لو أنَّ طبول العيد لم تقرع ولم تظهر لأنها صحت الهموم وأيقظت الأحزان، وفيها تتضح شكواه السياسية مبطنة في بحر المتقارب الذي استوعب حالاته الفكرية واضطراباته الشعورية، ليتناسب معها حرف القافية القاف ويتلائم مع شدة الحزن والأوجاع التي يحملها وفي ذلك يقول:

ويـــــا أيهـــــا العيـــــد في غـــــربتي وددت طبولـــــك لـــــم تقـــــرع

فمـــــا عـــــاد وقعـــــك في خاطـــــرٍ ســـــبته الهمـــــوم بـــــذي موقـــــع

....

سأبقى بحزني أغني النجوم وأشرب خمري من أدمعي

وأقتات طيف بلادي هوىً قوي الشكيمة لم يخنع

❁ ❁ ❁

وفي بيان حبه لابنتيه ينظم على بحر الكامل قصيدته (جمانة وخولة) يقول فيها [٢١]:

أصغيرتي توسدا من أضلعي وتسلقا أرجوحتين بأذرعي

وترضبا نبعين من دفءٍ ومن عطفٍ بقلبٍ من حنانٍ مترعِ

وفي كل قطعة من هذه القصيدة يبدأها الشاعر بكلمة (أصغيرتي) يبث فيها تلك النظرة السوداوية التي يحملها الشاعر لفقدانه وابتعاده عن ابنتيه (خولة وجمانة) فقد تحمل ما لا يستطيع تحمله و" لا شك في أن شقاء الإنسان في هذا العالم المضطرب يعود إلى إدراكه أن ذاته سجينة حبيسة وأن طاقاته الحيوية تتبدد عبثاً إذا هو لم يستطع أن يبلورها في إطار فكرة واقعية نابعة من حقيقة وجوده عنصراً إنسانيا فعالاً "[٢٢] ويكمل حديثه بقوله:

أصغيرتي الدهر غام بوجهه وتحول الأفق الشفيع لأسفعِ

ولقد يطيق القلب حمل ملمة ما لم تكن أدهى من المتوقع

....

يطغى الضياع علي حتى إنني لا أدر ما زمني ولا ما موضعي

أُمسي وأصبح دون أمسٍ أو غدٍ وأسير لا من مبتدأ أو مرجعِ

والمرءُ من دون أحبةٍ ومواطنٍ يبدو بلا معنىً كمشطِ الأقرعِ

ومن جميل قوله خوفه على ابنتيه لذلك راح يحثهما على الحرص وأخذ الحيطة والحذر من المجتمع الذي يعيشان فيه وهنا تظهر " الذات الحقيقية للشاعر، تلك الذات الساخطة الناقمة على كل ما هو موجود متمردة غاضبة لا مبالية، مع العلم أن هذه الشخصية لم تنبثق عن ذات عبثية أو هزلية موجودة في الداخل؛ إنما جاءت نتيجة لواقع مرير عاشته هذه الذات وذابت في داخله بلا حول ولا قوة "[٢٣] بقوله:

أصغيرتي الأرض عادت غابة ... يكتظ جنباها بكل مروعِ

فبها الأفاعي الربد تنفث سمها ... والعقرب الشرس الشديد الملسعِ

حذقت فنون الصيد في أعماقها ... وتبرجت بلحون طير ألمعي

والصيد حرفة كل حيوان فقد ... يأتي بضحك أو يجيء بأدمعِ

أني أُعيذ طفولة وبراءةً لكما ... بطهرٍ واضحٍ لم يخدعِ

❁ ❁ ❁

وبالكلمات الشفافة ذاتها والموسيقى الحزينة ينشد الشاعر قصيدته (رسالة إلى صغاري) يشع منها الحزن وطلب العون، والجوى، فنلحظ أن الشاعر يكرر معانيه في أبيات القصيدة مؤكداً سيمفونية الحزن والبعد ثم الشوق وتمني لقاء صغاره، فهو يفضل الطيف والأحلام على الحقيقة والواقع الذي يصدمه بما هو كائن وهو حنينه وشوقه لهم " فالشعور بالخوف أو القلق قد يستفز الذات، ويحرك الذات الأدبية والفنية لتحدي اللغة وركوب التفعيلات وإمساك زمام الخلجات الشاعرية بالتمرد تارة وبالهجوم تارة أخرى من غير صرامة أو تطرق.."[٢٤] بقوله مستعملاً بحر الخفيف في إيضاح شكواه:

لا تلمني إن الملام تجني ... واعني إذا استطعت أعني

ما احترفت الجوى لأقلع عنه ... فأشر للجوى ليقلع عني

ما سوى الحزن في الوجود فلا ... تُكثر لومي إن صرت مدمن حزن

وإذا ما سبرت دني فلا تلمح ... غير الأحزان خمراً بدن

إن لحناً يصوغه الحزن لحن ... عبقري من دونه كل لحن

....

أنا لولا الأحلام ما كنت إلا ... مُزقاً في يد الأسى المرجحن

يا صغاري على البعاد سلامٌ ... من أب شاء حزنه أن يغني

وكثيرٌ من الغناء نواح ... يتخفى بثوب شدوٍ مرن

....

والذي يرفد الشجون طيوف ... أين يمت الوجه لم يدعني

....

عمرك الله يا طيوف بلادي ... ما الذي تحمليه زاداً لفني؟

....

سوف أبقى أعيش في لجّة ... الأحلام من جور واقع متجن

يؤدي التكرار في الألفاظ (أعني، الجوى، أقلع، الحزن، لحن، الأحلام، طيوف) دوراً مهماً وظاهراً في تأكيد المعنى، والإشادة بما يدور في خلد الشاعر متناغمة مع القافية النونية التي اختارها الشاعر، والذي أدى فيها التكرار في البيت الواحد ذلك التناسق، فضلاً عن البحر الذي نظم الشاعر فيه قصيدته، خالقاً الترابط في تفعيلاته، والنغم الموسيقي والإيقاع الجميل الذي يتردد في بداية كل بيت إلى نهايته.

❁ ❁ ❁

ويمكننا القول: إنَّ الشاعر أثناء حديثه عن أناه والآخر الذي دارت حوله كلمات القصيدة ومعانيها، يتجاذبه شعوران مختلفان، ناقلاً أناه من خلال سرد الأحداث وطيوف الآخر (الابن) الذي لم يكن له حضورُ واسعُ، أو يكون متحدثاً وراسماً لأحداث القصيدة، سواء ما يقوله أم يسرده لنا من أحداث وذكريات عالقة في ذاكرته مقابل الحرمان والبعد الذي عاشه، لذلك لم نلحظه يتحدث عن مسيرة أبنائه وكبر سنهم، وسكنهم ومعايشته لهم " ولعل مما يحرك كوامن الشاعر، ويدفعه لبث أناته، ما يعتريه من حيف، وما يلم به من قهر، ويتسلط عليه من أذى.. ولعل فقده لحريته من الأمور الباهضة التي تكلف الشاعر كثيراً من المتاعب والأشجان"[٢٥] ومن الجدير بالذكر أن تكون هنا وهناك ألفاظ الطيف والحلم التي كادت تسيطر على أغلب قصائده لأهله الذي يعني اللاحقيقة والبعد عن الواقع عاكساً حالة الفراق، وتمني رؤيتهم والترويح عن نفسه وجهله للمصير.

علاقة الأنا بالآخر (القيم والمفاهيم الإنسانية)

يمثل الآخر في هذه العلاقة تلك الآهات والتحسرات والزفرات من أجل الحث على الإصلاح ونشر التقوى والإيمان وقيم ومفاهيم عليا، من خلال عقد محاورة بينه وبين القلب والشباب ناقداً لبعضها ومحبباً لبعضها الآخر فـ "إن صورة الآخر عادة تتضمن موقفاً أخلاقياً من الآخر فضلاً عن الموقف المعرفي"[٢٦] وللشاعر قصيدة نظمت عام ١٩٦٧ تسمى (حوار مع القلب) يظهر من مناداته لقلبه مرتين عدم جدوى ما يحثه عليه، لذلك يبدو شعوره بالانتكاس وخيبة الأمل من إصلاحه قائلاً فيها (البسيط)[٢٧]:

عادت خيولك أنضاء من السفر ... فهل تكف عن التجوال يا غجري

يا قلب يا قلب يا ابن الخافقين ألا ... تكف عن صبوات السمع والبصر

يوماً على الرمل في وادي الأراك إلى جنب المها في فراش حيك من وبر
وتارةً في سرير جنب غانية على وثير توشيه يد الحضر
تظل تسرح طول الدهر مختبئاً بثوب كل أنيق مترفٍ نضر

يوجه الشاعر عتابه إلى قلبه الذي لم يستقر، ويصغي كثيراً إلى سمعه وبصره، معيباً عليه عدم استقراره وتقلبه في أماكن البغاء، محذراً إياه من النار، مجسداً في حديثه القلب إنساناً يحمله المصاعب والمصائب ظاهراً أنا الشاعر أثناء حديثه مع الآخر (القلب)، راسماً صورة حية ودقيقة صادقة لمن يبعث في الإنسان إلى معصية الله، وعدم الالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه، وما يوضحه هو حالة الانفصال بين العقل والقلب جاعلاً منه مركز الغدر والخديعة، فهو يبدأ قصيدته بالفعل (عادت) الذي يدل على كثرة تكرار الأعمال المشينة، وعدم رضائه عنها، ويبدو أنَّ هذا الحوار مع القلب عقيم لكثرة الأخطاء والخطايا التي يرتكبها وتردي صاحبها إلى المهالك والنار، فهو لا يرعوي عنها، وإنما دائم التمسك بها،

يقول فيها:

بالأمس يا قلب قد عانيت في عجب على فعالك أمراً واضح الغيرِ
في كبرياء كذوب تستتدير إذا ما مر سرب القطا ينداح في زمرِ
زعماً بأنك قد أصبحت أكبر من دنيا الشباب فلا عود إلى الصغرِ
خدعتني مدةً حتى دعوت لك الباري بأن تك في بعدٍ عن الخطرِ
وقلت راح العنا واستسلمت إرب فلا تقلب بين البيض والسمرِ
حتى رأيتك أحياناً تنطنط كالعصفور إذ يستبيه ناضج الثمرِ

طوراً على مفرق سال النضار به وتارةً بين أصداغ إلى طررِ

وإذ سألتك ما هذا أجبت أنا دمٌ ولحمٌ ولم أخلق من الحجرِ

وهنا يُظهر حالة الصراع التي تعيشها أنا الشاعر مع الآخر (القلب) وهي صورة سيئة يرسم ملامحها ويحدد مساراتها معيباً على قلبه العجب الذي يبدو واضحاً عليه، فكثرة الالتجاء والدعاء إلى الله سبحانه وتعالى قد كثر، وكلما دعا وسعى إلى ربه، أخذته الغفلة، وراح يذهب في غياهب الخطيئة والعصيان، مقدماً تبريره بأن هذا القلب من دم ولحم، ولم يكن من حجر " وحتى تصل الأنا الشاعرة إلى تلك المنزلة من الانتماء تكون قد عاشت الحياة الأجمل فعلاً، فعبرت عنها بصورة طبيعية، وكانت في لحظة الإبداع تعيش الحرية المطلقة والشجاعة المطلقة "[٢٨] ويكمل معاناته مع هذا القلب قائلاً:

عزفت عن صبوات القلب آونة واستسلم القلب بعد النط للخدر

وسائل الليل قلبي عن مواسمه وعن أحاديث أحباب وعن سمر

وللأحبة كون في مخيلتي هيهات يمحى الذي أبقاه من أثر

....

وللغرام حديث لا ختام له نسير من وطر فيه إلى وطر

وللصبابة أطياف مجنحة نشتاقها شوق ظامي الرمل للمطر

ودعتها وخريف الأربعين على وجهي يبيس ومبيض من الشعر

....

قد كنت أحسب أن القلب ديدنه كالجسم يضعف إن أشفى على الكبر

لكن عرفتك قلبي كلما يبست أطراف جسمي على عودي فأنت طري

تخضر في الجمر ما هذي النقائض في دنياك تجمع بين الجمر والخضر

كالعود في النار عطر في تلهبها فيا لمحترق في ناره عطر

يبدو انه مع القلب في حالة تشاجر واختلاف فهناك مكان للأحبة وللغرام وللصبابة، في حالة من عدم التفاهم كل يتجاذبه في مكان يختلف تماماً، يؤدي به إلى مكان لا قرارة له.، لذلك يبدي الشاعر تعجبه من هذا القلب الذي يزداد طراوة واخضراراً كلما تقدم فيه العمر.

ويجعل الشاعر القلب مركزاً للخيانة ونسيان الآخرة، مستذكراً معه الأمور التي تؤدي إلى المصائب وفيها يقول:

يا قلب هل خطر الإنصاف منك على بال فأنصفت ضعفاً غير مقتدر

تمضي نهارك جوالاً على لعس عند الشفاه وطوافاً على حور

والليل تقضيه ركضاً خلف خادعة من الطيوف وخلاب من الصور

خلقت تركض لا تأوي إلى دعة ولا تحط عصى الترحال من سفر

تغزو وتحسب أن الغزو منتصر وأنت منهزمٌ في ثوب منتصر

....

وقد يصوغك وقع الهجر أغنية في حين يملأ لي وجهي من الحفر

فسوف أبقى إلى ما شئت في تعبٍ مما تكبلني فيه فذا قدري

❁ ❁ ❁

وله في قصيدة أخرى نظمت عام ١٩٧٥ على بحر الطويل بعنوان (عتب على الشباب) فيها عتاب وتأسف ولوم على أيام انقضت، وعمر ذهب بلا رجعة استشعرها الشاعر عندما نظر في المرآة ورأى الشيب قد غزى شعره قائلاً فيها[٢٩]:

سـألت ظـلام الليـل أن يتـمددا ... فأعيا وخـلا السـرب للصـبح إذ بـدا

وبعـض الليـالي لـو تجـاب رغائـب ... رجونا بأن تبقى مدى الـدهر سـرمدا

وبعض الليالي يفتـدى بعـض مـا بهـا ... بـألف صـباح لـو يتـاح لـك الفـدا

فمـا العـمر إلا ليلـة عبـقرية ... بنيـت لـها في ذكرياتـك مسـجدا

ويظهر هنا عدم انسجام الشاعر مع الآخر، ولكن هذه المرة مع الشيب وكيفية رؤيته له، معرجاً بحديثه عن القلب الذي أصبح تائهاً سارحاً ضائعاً، والشاعر يتأسف ويتألم على الحالة التي أصبح القلب بها موضحاً أنه سبب المعاصي ملقياً اللوم عليه قائلاً فيه:

لـك الله يـا قلـبي أمـا زلـت سـارحاً ... تجـوب وراء الغيـد دربـاً وفدفـدا

ففـي كـل يـوم ضـائع أبحـث الـدنا ... عليـك فـلا ألقـاك إلا مصـفدا

تفيـأ صـدراً نـافراً أو مكـحلاً ... مـن الجفـن أو شـعراً أثيثـاً مجعـدا

ويعود الشاعر في قصيدته عن الشيب إلى القلب عاكساً الصورة السلبية التي تعيش على الملذات واللذائذ الدنيوية، وتنسي صاحبها الحياة الأخروية، جاعلاً من القلب إنساناً عاجزاً لا يعرف ما هو العمل الذي يؤديه، فقد أصبح مجنياً عليه، تناديه الأصوات والعيون إلى طريق مظلم لا رجعة فيه موضحاً ذلك في قوله:

كفـرت بكـل الأرض مـن دون خفقـة ... مـن القلـب تغـري القلـب أن يتوقـدا

وأن يرتـوي طـوراً ويظـمأ تـارة ... ويطـرد آرام الظـباء ويُطـردا

ويقـتله هـجر وتحييـه زورة ... ويرقـد في أهـل الجـراح مضـمدا

وإلا فمـا جـدوى الحـياة تعيشـها ... ولا قلـب في أسـر يطـيح ويفـتدى

وحــولك أصــوات العــيون جريئــة تناديــك أن تــدنو ولا تســمع النــدا

لقد أصبح القلب يهوى الذنوب، ويجري وراء الهوى متناسياً الآخرة، مفضلاً الحياة بكل ملذاتها وسرورها فأعماله التي يؤديها لا تمت لما يؤمن به البتة يقول فيها:

رعــى الله فينــان الصــبا إن ليــله يــود مــن الأحــلام أن لا يــرى غــدا

تخضــب بالنعمــاء ورديــة الــردا فلســت تــرى إلا خمــيلاً مــوردا

كـأن لـك الـدنيا بـكل الـذي حـوت وإن عشــتها جــوعاً وثوبــاً مقــددا

....

فليــت ضــلالي دام في ميعــة الصــبا ولا مال فيَّ الشيب يومـاً إلــى الهــدى

ولا نضــجت مــني مــدارك أبصــرت لـهـذي الـدنا وجهـاً كريــهاً مـعقدا

ولا عشــت جـيلاً كـل آن لــه هــوى تنصــر صــبحاً ثم عصــراً تهــودا

ومــن نكـد الأيــام أن تحســب الـذي تحــول حربــاءً حصــيفاً مســددا

وأن تتلاشــى في الحــياة مبــادىء أخال الدنا والحق من دونها سـدى

❁ ❁ ❁

ومن هنا تبدأ دعوة الشاعر إلى الشباب في قصيدته (دعوة إلى الشباب) على بحر الطويل مبدياً تمسكه غير المجدي، دالاً على تألم وتحسر على الشباب، مركزاً ذلك المعنى في تكراره (أعد لي) و (عهد الصبا) في قوله [٣٠]:

أعد لي وخذ ما شئت مخضوضل الصبا فـإن جميـع العـيش مـن دونـه هبـا

أعد لـي الجوى والوصل والهجر والنوى وبرقــاً بــه أغــوى وإن كــان خلبــا

فـــما متـــع الدنـــيا بـــكل صـــنوفها لتســـعد لـــولا ســـحره أو لتعـــذبا

وعـــهد الصـــبا فيـــه رسيـــس عهدتـــه يمـــس شـــفاف القلـــب حـــتى ليخصـــبا

وعهد الصبا عـــهد القلـوب وشـــجوها ومـــا شـــب مـــن نـــار الهيـــام ومـــا خبـــا

مما تقدم يتضح: عدم التوافق والانسجام بين أنا الشاعر والآخر القلب، فقد غدت الأنا تحثه وتحدد له مسارات التقوى والإيمان، مقابل التنصل وسلوك طريق الضلالة والعبودية، وكأن التلون والتقلب في المظاهر والأشكال تجسدت فيما يعكسه على أفعال الإنسان فتارة تراه في حال، وتارة أخرى في حال يختلف تماماً عما كان عليه فيما سبق. فالشاعر يرى في الآخر تلك النظرة المقيتة التي لم يتصالح معها، وإنما كانت الهاجس والندم، وحالة المأساة والألم التي أصبح فيها، مقدماً فيها نصيحة يبتعد الإنسان فيها عن ملذات الدنيا، على أن يؤمن بالله ويتوكل عليه، حتى لا يصل إلى طريق يتأسف فيه على ما مضى.

❁ ❁ ❁

علاقة الأنا بالآخر (الوطن):ـ

ذلك الوطن وتلك التربة المتمثلة بصرح الإمام علي عليه السلام الهاجس الذي ظل يناغيه الشاعر ويحن إليه، طالباً أن يدفن فيها، فهو لذلك بقى يتغنى بكل ما هو موجود في ذلك الوطن من جبال ومياه وأشجار ونخيل وصروح تمثل له الوجود والأمان والاستقرار" وليس المراد بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها - وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية - بل أن يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس الإنسانية "[٣١].

وإذ تبدو أنا الشاعر منصهرة مع الآخر، لتكون بلده الحبيبة النجف التي تركها عنوة ومن دون رضاه، لتنشال مشاعر الحب والارتباط بها، معنوناً قصيدته التي نظمها على بحر الكامل بـ (إلى النجف الأشرف) قائلاً فيها [٣٢]:

بعض العتاب فما تركت وفائي ... ورؤاك مشرقة على أجوائي

تجتاحني شوقاً وتأسر مسمعي ... وقعاً وتغمرني من الأضواء

قد عشتها نغماً ولما أن نأت ... عني دأبت أعيش بالأصداء

....

وتراب أوطاني ربيعٌ أخضرٌ ... ولو انها في بلقعٍ جرداء

صافحته بالخد عند ولادتي ... ورسمت منه بجبهتي طغرائي

لقد كانت مشاعر الحزن والشكوى ترافق الشاعر وهو بعيد عن بلده، لذلك يطلب أن تحرسه من كل شر، ومن كل طارقة، متمنياً أن يتنسم شذا عطره، والعودة إلى بلده وأن يلف ترابها ثراه، قائلاً في ذلك:

بلدي يعيش أخو السلو بنعمة ... وأنا أعيش البعد في لأواء

حمّلت عيني والنجوم إليَّةً ... أن يحرساك بعتمة الظلماء

ولو ان اضلاعي تفيك جعلتها ... سوراً يصونك من أذىً وبلاء

يا كل أهلي والحنين سجية ... للكل تسكن فطرة الأجزاء

إبعث قليلاً من شذاك فإنني ... أستاف عطر رمالك العفراء

أنا بعض تربك بنت عنه برهة ... وغدا يطول لدى ثراك ثوائي

ويأتي الشاعر ليعدد مظاهر الجمال والألق في ذلك البلد الذي تكثر فيه الشلالات والبطاح وشقائق النعمان، تلك الصور الفاتنة التي بقيت في مخيلته

فراح يعدد جمالها، وبذلك تمثل مدينة النجف محط انبهار وإعجاب الشاعر بها من حيث الجمال والتطور والتحضر، ومكان تجربة ما مهمة للشاعر ومحل إقامته [٣٣] بقوله:

وبطـاح ناعمـة الرمـال صـعيدها ... سمـوه يومـاً وجنـة الـعذراء

ومسـارح الظبيـات في وادي النقـا ... بـين السـدير وجبهـة الصـحراء

وشـقائق النعمـان فـي واحاتهـا ... مجدولـة كـجدائل الحسـناء

ورؤى ديـارات الأسـاقف صـبحها ... للـدل والصـبوات والإغـراء

ويظهر الشاعر فضلاً عن ذلك الأراضي والسهول والجداول العذبة الغنّاء التي يرويها الفرات، والروابي والمساحات الواسعة المليئة بالشجيرات وفيها يقول:

بلـدي جـداول عـذبة رقـراقة ... جـاد الفـرات بهـا فـأي عـطاء

روّى السـهول العاريـات ولفـها ... مـن خصـبه وخصـيله بغـطاء

فـإذا الـبقاع الـيابسات عـرائسٌ ... مجلـوةٌ بمـلاءةٍ خضـراء

وإذا الـروابي الجـرد روض يزدهـي ... بجنـائن وسنـابل شـقراء

وإذا الشـجيرات الخضـيلة ألسـن ... يشـكرن مـا للمـاء مـن آلاء

ويفيض الشاعر بمشاعره الجياشة تجاه بلده، ويذكره مستعرضاً كل ما فيه من مباهج ونعم، وقصور وزهور، وإنها دار فصاحة، وعلم، ذاكراً وادي الغري، مشيداً بمشاعره، وأشواقه لتلك البلاد ومبيناً عطفه وطلب الرحمة والرضا عنه وهنا تكون الأنا "البؤرة الذاتية المرتبطة بشبكات التجربة ومنظوماتها المتنوعة التي تعمل آلياتها في الخلق على تفعيل التجربة الخاصة

بالتجربة العامة "[٣٤] فمحاريب العبادة والقبب الشماء، والمدارس كلها تذكره بأجداده وآبائه، ولهذا يصدق هنا التنبؤ برجوعه إلى تلك الديار، التي عندما شمها وافاه الأجل بقوله:

وبـــراعم لي في حشـــاك دفنتـــهم كـانوا النسـيج البكـر مـن أحشـائي

ورأيـــت فيـــهم للطفولـــة بســـمة ودفنـــت فـــيهم بهـــجتي هنـــائي

فلـــديك أصـــلي والفـــروع وأنـــني أنـــا لاحـــق بهمـــا بـــدون مـــراء

❁ ❁ ❁

وفي قصيدته (إلى ولدي حسن) يظهر ذلك الترابط والحنو لولده، ولأرضه، ولوطنه، وهو بعيدُ عنه بأرض الشام، فتارة يشتاق لابنه، وتارة أخرى لوطنه الذي يعني له الاستقرار فـ "إن سمات المأوى تبلغ حدا من البساطة ومن التجذر العميق في اللاوعي يجعلها تستعاد بمجرد ذكرها، أكثر مما تستعاد من خلال الوصف الدقيق لها... ولهذا فإن كلمة الشاعر، بسبب وقعها الصادق تحرك أعماق وجودنا"[٣٥]. ومرجع الذكريات يتضح في ألفاظه (الكوفة، ونهري دجلة والفرات، ورمل الغري) قائلاً فيهم [٣٦]:

بـني تقاضـاني الهـوى بعـض مـاله فرحـت وبي ممـا تقاضـى متاعـب

فجسمي بأرض الشام والروح عنـدكم وقلـــبي إلى واديـــكم يتواثـــب

وإنـــي وإن تحنـــو علـــي مرابـــع وأهـــل بـــأرض االشـــآم أعـــارب

فـــإني كـــوفي الهـــوى تســـتميلني بـــأرض الفـــراتين الـــرُّبى والمناكـــب

ولا أرتضـــي إلا الفـــرات ومـــاءه ونخـــلاً يناغيـــه الـــهوى ويناعـــب

مطـــالع شمـــس بـــالفرات أحبـــها وفي دجلـــة تســـبي عيـــوني المغـــرب

ويطلق العنان في حديثه عن تلك الأرض التي ضمت تلك القبة التي تعانق السماء، عاكسة أشعة الشمس وكفى بتلك الأرض منزلة، وعلو مكانة ضمها قبور أناس اتخذوا من المولى علي عليه السلام نعم الصاحب الذي يحضر الشدائد ويكون العون لهم موضحاً ذلك في قوله:

حنيني إلى وادي الغريّ وقبة ... يغازلها نجم السما ويلاعب

عليها لعاب الشمس تبر وتحتها ... أئمة عرفان وحبر وراهب

تقاة أصابوا من علي أخا هدى ... وحبر تقى، والصالحات نسائب

وتاقوا إلى المثوى الأخير بجنبه ... ونعم عليّ في الشدائد صاحب

فلا زلت يا وادي الغري خميلة ... تمر عليها الغاديات السواكب

وخلاصة القول: نجد ذلك الترابط والتوافق والتناغم بين ذاته والوطن الذي ظل دائم الشوق والحنين له، فهو يعيش مع ذكرياته وأحلامه في وطنه إذ ما انفك يدور في خلده ويتمنى العودة له وقد تحقق ذلك ودفن في مدينته النجف، ومما لاشك فيه أن رؤية الشاعر للحياة تتأثر بنوع الحصيلة لجدل وعيه وذاته مع واقعه وبيئته الشاملة التي تتشكل عن أثر مرجعياته الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تمثل ميراث تجربته الجماعية وخبراتها [٣٧].

الخلاصة:ـ

قُسم ديوان الشاعر الوائلي على أقسام، كل قسم يخص شعراً معيناً أو جانباً معيناً من شعره، فهناك القسم الديني، والقسم السياسي، والقسم الإخواني، وقسم للرثاء، وقد وقع اختيارنا على القسم الوجداني بكل ما يحتويه من قصائد، علماً أن هذا القسم يتضمن قصائد تحوي مشاعر وأحاسيس جسدها الشاعر من خلالها، فتارة نلحظه يعقد محاورة بينه وبين

القلب، وتارة أخرى نلحظه يعاتب الشيب وينادي الشباب عسى أن يعود، وأخرى يرسل كلمات حنينية أبوية تشع بالعطف والاشتياق إلى أولاده علي وحسن ثم تفيض مشاعره إلى ولده الأكبر محمد حسين فيرسل له كلمات عذبة وألحاناً شجية مترجمة حبه وتعلقه به، ويقوده الحديث إلى أم محمد، وتُلقي به مشاعره إلى النجف الأشرف، ويُذكّره العيد بأولاده فينظم قصيدة في ذلك، وذكرياته مع ابنتيه (خولة وجمانة) ويختمها برسالة إلى صغاره.

تتبلور من الشعر الوجداني للشاعر علاقة الأنا بالآخر، فيكون الآخر الوطن، أو الأهل(الزوجة والأولاد) أو قيم ومفاهيم إنسانية يتعايش الإنسان معها، ويكمن هدف هذا البحث في الكشف عن هذه العلاقة، وبيان نوعها أهي سلبية أم ايجابية، وكيفية توظيفها؟

الخاتمة:ـ

إنَّ ما يطغى على الجانب الوجداني من شعره شيوع الحزن على الأنا، والبكاء، والشوق والحنين والشكوى ذات الأبعاد السياسية، وعيش الأنا مع الذكريات التي أصبحت الملجأ والمرفأ التي تركن إليه، والشعور باليأس والبعد والنأي، نتيجة الغربة والاغتراب الذي عاشه وهو بعيد عن الآخر أهله (زوجته وأولاده) أو عن الآخر وطنه، الآهات والزفرات والحسرات على الأيام التي أفقدته شبابه، وكأنه في شعره الوجداني كون سيرة ذاتية (للشاعر) وسيرة غيرية (للآخر) تأرجح ضمير المتكلم المفرد (أنا) وضمير الغائب الجمع (نحن)، شعور الأنا بالخطيئة والعصيان الذي يكون مصدره القلب، عكس العقل الذي ترجح كفته بالنسبة إليه، لأنه مصدر العز والفخر والتقدم، وطريق الهداية والإيمان، فهناك حالة من التفضيل والترجيح أيهما أفضل للإنسان القلب أم العقل في أثناء نظمه القصائد؟ وهو يعرض جوانب سلبية وايجابية لكليهما، فضلاً عن نظرة الأنا السوداوية للحياة لذلك نلحظه دائماً ما

يقدم النصيحة لأولاده، ويحثهم على عدم الاغترار بها والجري وراء مغرياتها. ولم نلحظ تواري الذات وتخفي الأنا في شعره الوجداني، وما يميز شعره الوجداني نظمه على البحور الطويلة لتستوعب المشاعر الجياشة والانفعالات المضطربة والأحاسيس الفياضة تجاه الآخر.

هوامش البحث

(١) التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر: د. أحمد ياسين السليماني: ٤٢٥. وينظر: الآخر في الشعر الجاهلي: مي عودة أحمد ياسين: ٤.

(٢) ينظر: الوائلي تراث خالد: سليم الجبوري: ١٧ - ٩٣.

(٣) الذاتية والغيرية والحوار بين الأنا والآخر في الرواية: د عبد البديع عبد الله: ١٧.

(٤) تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط: د. نادر كاظم: ٢٠.

(٥) شعرنا الحديث...إلى أين؟ غالي شكري: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٦) ديوان الوائلي: ٢٧٨ - ٢٨١.

(٧) الأمل واليأس في الشعر الجاهلي: د. كريم حسن اللامي: ٣١.

(٨) صورة الذات بين ابي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي: ياسر سلمان عبد سلمان: ١٤٣.

(٩) ديوان الوائلي: ٢٩٣ - ٢٩٧.

(١٠) الجاحظ ومفهوم الآخر: د. علي محمد ياسين : ٢٥١.

(١١) ينظر: البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي: علي يونس عودة (رسالة ماجستير): ١٨٥.

(١٢) صورة الآخر في شعر المتنبي، محمد الخباز: ٢٣.

(١٣) صناعة الهوية... الآخر في المخيال العربي تمثيل المرأة في "ألف ليلة وليلة" أنموذجاً: عباس العلي:٣٣.

(١٤) الموسوعة النفسية، علم النفس في حياتنا اليومية:د عبد المنعم الحفني: ٢٣.

(١٥) ديوان الوائلي: ٢٨٦ - ٢٨٨.

(١٦) في قراءة النص: د. قاسم المومني: ٥٠.

(١٧) ديوان الوائلي: ٢٨٩ - ٢٩٢.

(١٨) جدل الأنا والاخر، قراءة في أفكار إيمانوئيل ليفيناس، د عباس حمزة جبر: ١٨٣.

(١٩) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : محمد زكي العشماوي: ١٠٨.

(٢٠) ديوان الوائلي: ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٢١) ديوان الوائلي: ٣٠٦ - ٣٠٨.

(٢٢) أسفار في النقد والترجمة: د. عناد غزوان: ٢٣.
(٢٣) سوداوية الأنا والواقع، قراءة في ديوان، حزن في ضوء القمر، لمحمد الماغوط: د. غدير خروبي، مجلة الأقلام ، ع٢، ٢٠٠٩: ١١٠.
(٢٤) تواري الذات وتخفي الأنا في شعر عاتكة الخزرجي: د. نادية هناوي سعدون، مجلة الأقلام، ع٣، ٢٠٠٦، ٨٩
(٢٥) شعر السجون في القرن الأول الهجري: غانم جواد رضا، مجلة آفاق عربية السنة ٣، ع ١٢، ١٩٧٨:١٠١
(٢٦) صورة الآخر في شعر المتنبي: ٢٦.
(٢٧) ديوان الوائلي: ٢٧١ - ٢٧٤.
(٢٨) في تشكل الخطاب الروائي، سميحة خريس: الرؤية والفن: د. إبراهيم أحمد ملحم: ٣٧ - ٣٨.
(٢٩) ديوان الوائلي: ٢٧٥ - ٢٧٧.
(٣٠) ديوان الوائلي: ٣٠١ - ٣٠٣.
(٣١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط: ٢٦.
(٣٢) ديوان الوائلي: ٢٨٢ - ٢٨٥.
(٣٣) ينظر: الآخر في الشعر العربي الحديث "تمثل وتوظيف وتأثير: د. نجم عبد الله كاظم: ٤٥ - ٤٦.
(٣٤) أنوية الشاعر من إحكام التشكيل إلى إثراء الدلالة: محمد صابر عبيد، مجلة الأقلام، ع٤، ٢٠٠٠: ٤٢.
(٣٥) جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا /٥٠.
(٣٦) ديوان الوائلي: ٢٩٣ ـ ٢٩٧.
(٣٧) ينظر: الرؤية للذات وللآخر في مطولة عمرو بن كلثوم: د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي، مجلة آداب الرافدين، ع٥٦، ٢٠١٠، ٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

- الآخر في الشعر الجاهلي: مي عودة أحمد ياسين: اطروحة، جامعة النجاح الوطنية (فلسطين ـ ٢٠٠٨).
- الآخر في الشعر العربي الحديث تمثل وتوظيف وتأثير: د. نجم عبد الله كاظم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت ـ ٢٠١٠).
- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، ط٢، دار النهضة العربية (بيروت ـ ١٩٨١).

- أسفار في النقد والترجمة: د. عناد غزوان،ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ـ ٢٠٠٥)

- التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر: د. أحمد ياسين السليماني، ط١، دار الزمان (سوريا ـ ٢٠٠٩).

- تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط: د. نادر كاظم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ـ ٢٠٠٤).

- جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ، وزارة الثقافة والاعلام (بغداد ـ ١٩٨٠).

- ديوان الوائلي، شعر الدكتور أحمد الوائلي، ط١، دار الصفوة (بيروت ـ ٢٠١٠).

- الذاتية والغيرية والحوار بين الأنا والآخر في الرواية: د عبد البديع عبد الله، ط ١، مكتبة الآداب (١٩٩٥ ـ القاهرة).

- شعرنا الحديث...إلى أين؟ غالي شكري، دار المعارف (مصر ـ دت).

- صورة الآخر في شعر المتنبي، محمد الخباز، ط١، ٢٠٠٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- صورة الذات بين أبي فراس الحمداني ومحمود سامي البارودي، دراسة موازنة: ياسر علي عبد سلمان، دار نينوى (سوريا ـ ٢٠٠٨).

- في تشكل الخطاب الروائي، سميحة خريس: الرؤية والفن: د. إبراهيم أحمد ملحم، ط١، علم الكتب الحديث (٢٠١٠ ـ الأردن).

- في قراءة النص: قاسم المومني، ط١، دار الفارس (الأردن ـ ١٩٩٩).

- قضايا النقد الأدبي والبلاغة : محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية (بيروت ـ ١٩٧٩).

- الموسوعة النفسية، علم النفس في حياتنا اليومية: د٠ عبد المنعم الحفني، ط١، مطبعة مدبولي (القاهرة ـ ١٩٩٥).

- الوائلي تراث خالد: سليم الجبوري، ط١، دار المحجة البيضاء (بيروت ـ ٢٠٠٦).

- الدوريات:-

- أنوية الشاعر من إحكام التشكيل إلى إثراء الدلالة: محمد صابر عبيد، مجلة الاقلام، ع٤، ٢٠٠٠.

- تواري الذات وتخفي الأنا في شعر عاتكة الخزرجي: د. نادية هناوي سعدون، مجلة الأقلام، ع٣، ٢٠٠٦.

- الجاحظ ومفهوم الآخر: د. علي محمد ياسين، المؤتمر العلمي السادس لكلية التربية، جامعة ديالى، ١٤ - ١٥ نيسان، ج١، ٢٠١٠.

- جدل الأنا والآخر، قراءة في أفكار إيمانوئيل ليفيناس، د عباس حمزة جبر، مجلة الاقلام، ع٣، ٢٠١٠ / ١٨٣.

- الرؤية للذات وللآخر في مطولة عمرو بن كلثوم: د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي، مجلة آداب الرافدين، ع٥٦، ٢٠١٠.

- سوداوية الأنا والواقع، قراءة في ديوان،، حزن في ضوء القمر، محمد الماغوط: د. غدير خروبي، مجلة الأقلام، ع٢، ٢٠٠٩.

- شعر السجون في القرن الأول الهجري: غانم جواد رضا، مجلة آفاق عربية السنة ٣، ع ١٢، ١٩٧٨.

- صناعة الهوية... الآخر في المخيال العربي تمثيل المرأة في "ألف ليلة وليلة" أنموذجاً: عباس العلي، مجلة الاقلام، ع ١، ٣٣/٢٠٠٩.